

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الْخَلْقُ كُلُّهُمْ
مُفْتَقِرُونَ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى مُلْكًا
وَتَرْبِيَةً وَتَدْبِيرًا

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ عُبودِيَّةَ المخلوقاتِ، وافتقارَهم إليه من جهة العبادة والتَّوْحِيدِ؛ بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ افْتِقَارَهُمْ مِنْ جِهَةِ الْمُلْكِ وَالتَّربِيَةِ وَالتَّدْبِيرِ⁽¹⁾، فَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾، وَعَلَى هَذَا؛ تَكُونُ مَنْزِلَةُ الْآيَةِ مِمَّا قَبْلَهَا مَنْزِلَةُ النَتِيجَةِ مِنَ الدَّلِيلِ، وَمَنْزِلَةُ الثَّمَرَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مُلْكٌ﴾: (مَلِكٌ) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ وَصِحَّةٍ، يُقَالُ: أَمَلَكُ عَجِينَهُ: قَوَّيْتُ عَجَنَهُ وَشَدَّهُ، وَمَلَكَتُ الشَّيْءَ: قَوَّيْتُهُ، وَالْأَصْلُ هَذَا، ثُمَّ قِيلَ مَلَكَ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ يَمْلِكُهُ مَلَكًا، وَالْأَسْمُ الْمَلِكُ؛ لِأَنَّ يَدَهُ فِيهِ قُوَّةٌ صَحِيحَةٌ⁽²⁾، وَالْمَلِكُ: نَوْعٌ مِنَ الْمَلِكِ - بِكَسْرِ الميم - فَالْمَلِكُ جِنْسٌ، وَالْمَلِكُ نَوْعٌ مِنْهُ، وَهُوَ أَعْلَى أَنْوَاعِهِ، وَمَعْنَاهُ: التَّصَرُّفُ فِي جَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ أَوْ أُمَّةٍ عَدِيدَةٍ تَصَرَّفُ التَّدْبِيرَ لِلشُّؤُونِ، وَإِقَامَةُ الْحُقُوقِ، وَرِعَايَةُ الْمَصَالِحِ، وَدَفْعُ الْعُدُوَانِ عَنْهَا، وَتَوْجِيهِهَا إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهَا، بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ⁽³⁾، وَالْمُرَادُ بِالْمُلْكِ فِي الْآيَةِ: الْحَقُّ الدَّائِمُ لِلَّهِ تَعَالَى.

(2) ﴿الْمَصِيرُ﴾: (صِيرٌ) أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ الْمَالُ وَالْمَرْجِعُ، مِنْ ذَلِكَ صَارَ يَصِيرُ صَيَّرًا وَصَيَّرَ⁽⁴⁾، وَالصَّيْرُ: رُجُوعُ الْمُتَجِّعِينَ

(1) السَّعْدِيُّ، تَبْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، ص: 570.

(2) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللُّغَةِ، وَالْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ: (مَلِكٌ).

(3) الرَّازِيُّ، الْمَفْرَدَاتِ: (مَلِكٌ)، وَابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 213/3.

(4) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ، وَابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللُّغَةِ: (صِيرٌ).

إلى مَحَاضِرِهِمْ، يُقَالُ: أَتَيْنَ الصَّائِرَةَ؛ أَيَّ: أَتَيْنَ الْحَاضِرَةَ⁽¹⁾، وَصَيَّرَ الْأَمْرَ: مُنْتَهَاهُ وَمَا صَيَّرَ إِلَيْهِ، وَأَنَا عَلَى صَيْرٍ مِنْ أَمْرٍ كَذَا؛ أَيَّ: عَلَى نَاحِيَةٍ مِنْهُ، وَصَيَّرَ الشَّيْءَ: آخَرَهُ وَمُنْتَهَاهُ⁽²⁾، وَالْمَصِيرُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تَصِيرُ إِلَيْهِ الْمِيَاهُ⁽³⁾، وَالْمُرَادُ بِالْمَصِيرِ فِي الْآيَةِ: الرَّجُوعُ وَالْانْتِهَاءُ.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

بَيَّنَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا؛ إِيجَادًا وَإِعْدَامًا بَدْءًا وَإِعَادَةً، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ مَرْجِعُ عِبَادِهِ، فَيَبْعَثُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ؛ فَلْيَحْسِنُوا عِبَادَتَهُ، وَيَجْتَهِدُوا فِي طَاعَتِهِ، وَيُقَدِّمُوا لَأَنْفُسِهِمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ⁽⁴⁾.

الله تعالى له
الملك في الأولى
والآخرة

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَدَاعِيُّ:

دلالة اللام في الاسم الأعظم (الله):

اللام في الاسم الأعظم لِلْمَلِكِ والاختصاص؛ فَهُوَ الْمُنْشِئُ الْخَالِقُ، فَصِفَةُ الْمَلِكِ تَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ؛ فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِبِيدُهُ وَإِمَاؤُهُ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، وَحُكْمُهُ نَافِذٌ فِيهِمْ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ دَلَالَةٌ عَلَى رَبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّهُ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ لِكُلِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ؛ فَمَعْنَى ﴿وَلِلَّهِ﴾: أَيُّ: الَّذِي لَا مَلِكَ سِوَاهُ⁽⁵⁾.

إفادة الملك
والاختصاص
بدلالة الحرف
والسياق

سِرُّ الْخَضَرِ بِتَقْدِيمِ الْمَعْمُولِ ﴿وَلِلَّهِ مَلِكٌ﴾:

تَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَلِكٌ﴾ لِإِفَادَةِ الْاِخْتِصَاصِ؛

تحقيق
اختصاص الله
بالسلطان
الكامل على
مخلوقاته خلقًا
وملكًا

(1) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ: (صبر).

(2) ابْنُ سَيِّدِهِ، الْحُكْمُ، وَابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللَّغَةِ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (صبر).

(3) ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (صبر).

(4) ابْنُ جَرِيرٍ، جَامِعُ الْبَيَانِ: 335/ 17، وَالرَّاعِي، تَفْسِيرُ الْمُرَاغِي: 116/ 18، وَالسَّعْدِيُّ، تَبْسِيرُ الْكَرِيمِ

الزَّحْمَنُ، ص: 570.

(5) الْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدَّرَرِ: 291/ 13.

أَيَّ: إِنَّ التَّصَرُّفَ فِي الْعَوَالِمِ لِلَّهِ لَا لغيرِهِ⁽¹⁾؛ فالمعنى: لِلَّهِ وَحْدَهُ السُّلْطَانُ الْكَامِلُ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ⁽²⁾؛ فَهِيَ لَهُ خَلْقًا وَمُلْكًا، لَا لغيرِهِ أَصْلًا؛ لَا اسْتِقْلَالًا وَلَا اشْتِرَاكًا.

فائدة التعبير بالملك مصدرًا:

الملك هو السُّلْطَانُ الْكَامِلُ، واللَّهِ تَعَالَى لَهُ السُّلْطَانُ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا وَمَا فِيهَا وَمَنْ فِيهَا مِنَ الدَّوَاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَلَهُ الْمُلْكُ وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْإِيجَادِ، فَالْمَقْدُورَاتُ قَبْلَ وَجُودِهَا لِلْحَقِّ مَمْلُوكَةٌ، وَكَذَلِكَ فِي حَالِ حَدُوثِهَا وَبَعْدَ عَدَمِهَا عَائِدَةٌ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، فَمُلْكُهُ الَّذِي لَا يَحْدُثُ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَزُولُ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَى الْبُطُولِ⁽³⁾.

بديع الطباق بذكر السماوات والأرض:

أَكَّدَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ السُّلْطَانَ الْكَامِلَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ بِالطَّبَاقِ بَيْنَ لَفْظَتَيْ «السَّمَوَاتِ» وَ«الْأَرْضِ»؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ مِنَ الْخَلْقِ يَدَّعِي أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَيْهِمَا، لَا فِي خَلْقٍ وَلَا تَصْرِيفٍ، فَإِنْ ادَّعَى أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ سُلْطَانًا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ؛ يُكَذِّبُهُ حَالُهُ وَضَعْفُهُ فِي مُلْكِ سُلْطَانِ السَّمَاءِ.

سرُّ تخصيص السماوات والأرض بالذكر:

خَصَّ النَّظْمُ الْكَرِيمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّهُمَا أَعْظَمُ مَا يُرَى مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمَحْسُوسَةِ وَأَعْجَبُهَا شَأْنًا، وَفِيهِمَا الْعِبْرَةُ وَالْمَنَافِعُ لَهُمْ، وَلِأَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ لَا يَخْلُو عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي إِحْدَى هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ؛ فَالْمُلْكُ لَهُمَا إِشَارَةٌ إِلَى مُلْكِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ⁽⁴⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 260 / 18.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5204 / 10.

(3) ملا علي القاري، أنوار القرآن وأسرار الفرقان، ص: 478، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5204 / 10.

(4) أبو حيان، البحر المحیط: 750 / 2، وحقي، روح البيان: 161 / 1، والهرزي، حقائق الروح والزيجان:

الدلالة على
السُّلْطَانِ الْكَامِلِ
الَّذِي لَا يَحُولُ
وَلَا يَزُولُ

تأكيد السُّلْطَانِ
الْكَامِلِ، وَبَيَانِ
عُمُومِ مُلْكِ اللَّهِ
لِكُلِّ مَا يَظُنُّ
الْإِنْسَانُ قُدْرَتَهُ
عَلَى تَمْلِكِهِ

كوْنُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَعْظَمُ
مَا يُرَى،
وَالسَّمَاوَاتِ
أَعْظَمُ الْمَذْكُورِينَ

دلالة الواو وسرُّ العطف بقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾:

لَمَّا كَانَ التَّقْدِيرُ: وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِنَ اللَّهِ الْمَبْدَأُ لِلْكُلِّ بِالْإِيجَادِ مِنَ الْعَدَمِ؛ عُطِفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَإِلَى اللَّهِ﴾؛ أَيِ: الَّذِي لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ﴿الْمَصِيرُ﴾؛ أَيِ: لَهُمْ كُلُّهُمْ بَعْدَ الْفَنَاءِ⁽¹⁾، وَفِي هَذَا الْعُطْفِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّهُ ﷻ مَالِكٌ لِلأَوَّلِ وَالْآخِرِ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ابْتِدَاءً، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ انْتِهَاءً، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْمَرْجِعُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَنَا أَنْ نَتَصَرَّفَ إِلَّا حَسَبَ مَا شَرَعَ لَنَا مَا دُمْنَا مُلَكًا لِلَّهِ ﷻ، وَمَصِيرُنَا إِلَى اللَّهِ، وَمَا دُمْنَا نَعْلَمُ أَنَّ مَصِيرَنَا إِلَيْهِ فَلَا بَدَّ أَنْ نَسْتَعِدَّ لِهَذَا الْمَصِيرِ؛ لِأَنَّهُ سَوْفَ يَحَاسِبُنَا⁽²⁾.

منه المبدأ وإليه
المعاد

غرض تقديم شبه الجملة ﴿وَإِلَى اللَّهِ﴾:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ تَذْيِيلٌ لِمَا قَبْلَهُ، وَقُدَّمَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ ﴿وَإِلَى اللَّهِ﴾ عَلَى ﴿الْمَصِيرُ﴾؛ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ؛ أَيِ: الْمَصِيرُ إِلَيْكَ لَا إِلَى غَيْرِكَ، وَالِاخْتِصَاصُ بِتَعْلُقِ ذَلِكَ الْمَصِيرِ بِتَصَرُّفِ اللَّهِ الْمُخَصِّصِ؛ وَالْمَعْنَى: إِلَيْهِ تَعَالَى خَاصَّةٌ لَا إِلَى غَيْرِهِ رُجُوعُ الْكُلِّ بِالْفَنَاءِ وَالْبَعْثُ فِي الْمَعَادِ، بَعْدَ بَيَانِ اخْتِصَاصِ الْمُلْكِ بِهِ تَعَالَى فِي الْمَبْدَأِ⁽³⁾.

تقرير الحاجة
إلى المغفرة لأن
الرجوع إنما
يكون للحساب
والجزاء

دلالة إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ إظهارٌ لِلْأَسْمِ الْجَلِيلِ ﴿اللَّهُ﴾ فِي مَوْقِعِ الْإِضْمَارِ؛ لِتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ، وَالْإِشْعَارِ بِعِلَّةِ الْحُكْمِ، فَهُوَ تَذَكِيرٌ وَتَخْوِيفٌ⁽⁴⁾؛ فَالْتَذَكِيرُ بِكَوْنِ الْمَصِيرِ وَالْحَشْرِ إِلَيْهِ يُقَوِّي أَمَرَ التَّخْوِيفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى⁽⁵⁾.

تربية المهابة
والإشعار بعلة
الحكم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13 / 291.

(2) ابن عثيمين، تفسير سورة النور، ص: 291.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 184.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 184، وأبو حيان، البحر المحیط: 8 / 56.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4 / 189.

دلالة التعريف في لفظة «الْمَصِيرُ»:

التَّعْرِيفُ فِي «الْمَصِيرِ» لِلِاسْتِعْرَاقِ؛ أَي: مَصِيرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ؛
فهي لفظة عامة شاملة لمآل العبد في كلِّ أمرٍ، وكلِّ نازلةٍ.

❁ الفروق المُعْجَمِيَّةُ:

المصير والمآب والمرجع:

المصير يدلُّ على التَّحَوُّلِ إلى غايةٍ أو مَجْمَعٍ؛ ليكون المآلُ والمنتهى،
ومنه قوله تعالى: ﴿عَفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، وقد
ورد في القرآن الكريم بلفظ (المصير) ثلاثاً وعشرين مرَّةً، ولفظ
(مَصِيرًا) أربع مرَّات [النساء: 97، الفرقان: 15، الفتح: 6]، ولفظ «مَصِيرُكُمْ»
مرَّةً واحدةً [إبراهيم: 30]، وبصيغة الفعل المضارع مرَّةً واحدةً، في قوله
تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53].

والمآب رجوع الشيء إلى مُسْتَقَرِّهِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ [آل عمران: 14]، وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا
لِّلظَّالِمِينَ مَتَابًا﴾ [النبا: 21 - 22].

والمَرْجِعُ مصدرٌ ميميٌّ، أو اسمُ زمانٍ، والرجوع: هو العودُ إلى ما
كان منه البدءُ، والرجعُ: الإعادةُ أو التَّحَوُّلُ عَنِ الاتِّجَاهِ أو الحالِ إلى
عكسِهِ، وكلُّ ما في القرآن من (تُرْجِعْ، تُرْجِعُونَ، يُرْجِعْ، رَاجِعُونَ،
مَرْجِعُكُمْ، مَرْجِعُهُمْ) فهي إلى الله ﷻ⁽¹⁾.

المصير المآل،
والمآب الرجوع
إلى المستقرِّ،
والرجوع تحوُّلٌ
إلى عكس
الاتجاه أو الحال

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صير)، (أوب)، (رجع).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-79-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»